

الغموض الأدبي ليس مجرد ظاهرة سطحية

دراسات لكريستيفا وريشار وتودوروف وأنصي حول الشعر والغموض

بين الوضوح والغموض، يراوح الأدب مكانه، بين فريقين، أحدهما يرى ضرورة الترميز وخلق نسوج من الغموض في المعنى، والآخر يرى ضرورة إنشاء النص على البساطة، وبين هذين أيضا ينقسم القراء، لكن لا بد من وقفة تأملية حول مفهوم الغموض والوضوح، وهو ما يقوم به كتاب "هل يكون الغموض في المعنى؟".



محمد الحماصي
كاتب مصري

ويشير إلى أن الدراسات تناولت بالدرس والتحليل أشعار عدد من الشعراء الرمزيين الفرنسيين وعلى الخصوص شاعرين إشكاليين ومفصلين في تاريخ الشعرية الفرنسية والغربية، رامبو ومالارميه. حيث تناول جان بيار ريشار "رامبو أو شعرية الصيرورة" وتناولت دراسة جوليا كريستيفا "التحليل الدلالي وإنتاج المعنى. بعض قضايا دلالية الأدب" نص مالارميه "ضربة نرد".

ويقول العربي "تشكلت النصوص المخشاة لها نماذج تنتمي في بعض جوانبها إلى ما سماه عبد القاهر الجرجاني الاستعارات المعنوية"، ومعارفها أن البحث عن معاني هذا النمط من الاستعارات يمر عبر سيرورة طويلة، تعمل على توسيع المعنى إلى حد اللاتناهي "لا يمكن حصرها إلا على سبيل التقريب"، والشاعر الذي يتوسل بها "يشبه من يغرق من بحر لا ينقص منه شيء". يتساءل الجرجاني، ما هو الموضوع المقصود في تعبير "أعنة الصباح"، أو "أيادي الريح"، أو "أحصنة الشباب"، ويكون الاستنتاج "لا نستطيع أن نحده بسهولة".

في دراسة تزييفتان تودوروف والتي حمل الكتاب عنوانها "هل يكون الغموض في المعنى"، يقول تزييفتان "الفرق الصريح والحاسم بين التسلسل المنطقي والاستدعاء الرمزي ناتج عن أن الأول حاضر بشكل موضوعي فيما الآخر يحدث فقط في وعي من يتكلم ومن يسمع. وبناء عليه فإن الثاني لن يدرك أبدا في مستوى الدقة واليقين الذي يحوزه الأول، ولا يمكن إلا أن يقاربه؛ وقد بذلت جهودا كبيرة في محاولة لتحديد الاستدعاء، لكنها لم تتمكن أبدا من أن ترقى به إلى مستوى التفسير المنطقي".

وفي رايه حتى حينما يكون المعنى غير المباشر حاضرا ظاهريا، كما هو الشأن مثلا في الاستعارات الخاصة بالحضور، فإن مسعى التقريب بين معنيين، وجعلهما على قدم المساواة، يمكن أن يخضع لتأويلات لا حصر لها. فاللتبنييه الأكثر وضوحا أي الذي يحدد نوع القرينة التي تجمع بين حدين، يفتتح بالمقابل دائما مزدوجا، مع حمله لتكافؤ سابق "منطقي" وتكافؤ لاحق "رمزي". الكتاب يعرفون هذا الأمر جيدا، فهم إذ يقومون صراحة بتعليل تشبيهاتهم، فإنهم يجعلونها تقوم بدور "الفجر لتداعيات على أصدع أخرى".

ولفت تودوروف إلى أن الإقرار بالغموض المؤسس لكل استدعاء في الغياب شيء ورؤية كل صيرورة رمزية على أنها ملتبسة في الجوهر، أو، وهو الأمر الذي يعود تقريبا لنفس الشيء، وضع كل الوقائع الرمزية على سلم للقيم تكون فيه الدرجة العليا محتلة من طرف الرمز الأقل تحديدا، هو بلا شك شيء آخر. ومع ذلك فنحو مثل هذا التقييم للغموض اتجهت جهود المنظرين

ما هي العناصر المسؤولة عن الالتباس الذي يحصل في النص؟ هل يعود ذلك إلى المعنى؟ أم إلى آلية إنتاج المعنى بشكل لانهائي؟ هل توليد المعنى يتم اعتمادا على الأهمية التي تعطى للدال، كما في حالة اللغة الشعرية لياكوبسون، وتفرز كما في حالة النحو التوليدي بنية سطحية وبنية عميقة، وفي مستوى آخر نصا مولدا génotexte ونصا ظاهرا phénotexte، في خضوع لإكراه الدال المتمثل في المجاورة في السلسلة الكلامية وفي التناغم أو التناظر الصوتيين، أو في خضوع لإكراه العلاقة بين الجملة الصغرى الرئيسية الغالبة غالبا في النصوص الأدبية المعاصرة، والجملة الصغرى التابعة أو "الجوابية" الحاضرة، حيث يترك لقراءة النص وحدها مهمة توليد الجملة الرئيسية؛ أم اعتمادا على الأهمية التي تعطى للمدلول في مساراته التداولية المختلفة؟

الفرق بين التسلسل المنطقي والاستدعاء الرمزي أن الأول حاضر موضوعيا والثاني يحدث في وعي من يتكلم ومن يسمع

انطلاقا من هذه التساؤلات كان اقتراح الشاعر المغربي محمد العربي لترجمة مجموعة من الدراسات لرواد غربيين في التحليل من عيار جوليا كريستيفا، جان بيار ريشار، تزييفتان تودوروف، ميكايل ريفاتير، وجاك أنصي، والتي ترجمها وقدم لها في كتابه الصادر عن دار طلال وخطوط الأردنية بعنوان "هل يكون الغموض في المعنى؟".

المنطق والشعر

يرى العربي في هذه المختارات من الدراسات أنها تقع عند تقاطع الآليات الوصفية اللسانية الموجودة على المستوى السطحي، وتلك التي تفوض في أعماق النص بحثا عن الذات وعن المستويات الرمزية من منظور التحليل النفسي الذي يقوم بتفجير البنية المغلقة، ويفتح النص على خارجه بإحالة على تاريخ اللغة واللغات "بما فيها الآداب"، وفي نفس الوقت على تاريخ الممارسات السيميائية المختلفة للإنسانية عبر العصور، الأساطير، والديانات، والطقوس، والآلهة القديمة، إلخ.

فلسطينيون يواجهون الحياة

جاءت رواية "قبعة الزهايمر" للكاتبة الأردنية سوزان دروزة بلغة سلسة شائقة، محاولة سبر أغوار العوالم النفسية وقراءة الأبعاد الإنسانية للشخصيات التي تحاول ملاحقة مصائرهما، لنمضي في الرواية مع الشخصيات ونكتشف خارطة الهم الفلسطيني، فتحضر الأمكنة وتجلج في مناخ الشخصيات، سواء من حيث الأحداث أو تناول التراث.

مسارات إنسانية متعددة ومتشعبة تفردنا لنا الكاتبة دروزة لترسم لنا من خلالها خارطة الحياة الفلسطينية التي كتب على إنسانها أن يحيى حيوات كثيرة غير مكتملة، حيوات مضادة على أكثر من مستوى، رغم محاولة هذه الشخصيات وإصرارها على الدفاع عن حقها الإنساني في الحياة في كل اللحظات المتاحة.

ووظفت الكاتبة في روايتها، الصادرة عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في الأردن، لغة سهلة ومبني سرديا متمكنا وسلسا في آن، يشدك لتبحر في مجال النص، فلا تعود قادرا على التملص منه في لعبة سردية أبطالها فلسطينيون يواجهون الحياة الصعبة بشجاعة.

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة

سوزان دروزة